مراكز عبادة ديونيسوس فى مصر فى العصرين البطلمى والرومانى

د / السيد رشدى محمد
مدرس التاريخ اليونانى والرومانى
بكلية آداب بنـها

أعمال المؤتمر الثاني لاتحاد الأثريين العرب ، القاهرة ١٩٩٩

كان ديونيسوس ، ذلك المعبود الإغريقى ، يحظى بحب واحترام ، وأحياناً رهبة وخوف لدى الإغريق المقيمين فى بلاد اليونان وخارجها . فهو معبود غريب الأطوار ويحمل كل المتناقضـات التى يبحث عنها المتعطشين إلى معبود يرضى رغباتهم ، سواء كانوا رجالاً أم نساءً فهو إله الخمر والعربدة ، إله الأسرار والعالم السفلى ، إله البطولة والمغامرات ، إله الخصوبة والزراعة (١) ، إله التفريج العاطفى والدراما والكرم (٢) ، إله الشعر وملهم الشعراء (٣). ولعل هذا هو السبب الذى جعل البطالمة ينسجون القصص والأساطير حول انتسابهم لهذا المعبود فذكروا أنهم ينتسبون من ناحية الجدة إلى ديانيرا Dianera إبنة ديونيسوس بن زيوس (٤) . وسلكوا فى سبيل ذلك كل السبل التى تعضدد وجوده فى مصر .

ونظراً لأهمية هذا الموضوع ، نرى بعض الباحثين والكتّاب يفردون له كثيراً من مؤلفاتهم . ومن أشهر هذه المؤلفات ما أورده لنا العالم Otto فى كتابه عن ديونيسوس ، الذى نُشـر فى ألمانيا عام ١٩٣٣ م. ثم تُرجم عام ١٩٦٥ م. والعالم Tondriau الذى نشر عدة أبحـاث عن عبادة ديونيسوس فى العصر البطلمى فى المجلة البلجيكية Chronique D' Egypte فى الأعداد رقم ٤١ لعام ١٩٤٦ م. ، ٤٥ لعام ١٩٤٨ م. ، ٤٩ لعام ١٩٥٠ م ، وكذا فى المجلة الايطالية Aegyptus ، فى العددين ٢٦ ، ٣٠ . والعالم Festugiere فى مجلة Revue Biblique العدد ٤٤ لعام ١٩٣٥ م. . وغيرهم من المؤلفات التى تتعلق بالديانة والأساطير .

وبالنظر لهذه المؤلفات نجد أن جميعها اهتم بالحديث عن المعبود ديونيسوس منذ ميلاده ثم خروجه من بلاد اليونان وصراعه مع المعبودة هيرا والتيتان . أما داخل مصر ، انصبت دراساتهم حول الديانة بصفة عامة ، وارتباطه بالمعبودات الموجودة فى مصر مثل أوزوريس وإيزيس ، وانتساب البطالمة له ، وطقوس العبادة والاحتفالات والأعياد الخاصة بالمعبود ومظاهر هذه الاحتفالات ، وموضوعات أخرى من هذا القبيل . ولكنهم لم يهتموا بالحديث عن مراكز عبادة ديونيسوس فى مصر . ولذلك حاول الباحث ، معتمداً على الوثائق البردية والنقوش والآثار التى خلفها لنا العصرين البطلمى والرومانى ، أن يعرض للمراكز التى عُبد فيها ديونيسوس فى الأقاليم المصرية .

فنعرض فى الإسكندرية للمعبد الذى بناه البطالمة وحولوا دعمه بالقرارات الملكية . والمسرح الذى كانت تُمارس عليه الأعمال الفنية والقصص الدينية للمعبود ، وكيف كان فنانـوه

1- Festugiere , D. P. : " Les Mysteres De Dionysos " , *in Revue Biblique* , XLIV , 1935 , p. 193
٢- صمويل نوح كريمر : *أساطير العالم القديم* ، ترجمة أحمد عبد الحميد يوسف ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٣ م. ، ص ٢٤٢
3-Otto , W. F. : *Dionysos* , *Myth and Cult* , Translated by R. B. Palmer , London , 1965 , p. 65
4-Bevan , E. : *A History of Egypt under the Roman Dynasty* , London , 1927 , pp. 192-3

من أشهر فنانى مصر والعالم . ثم نتحدث فى إقليم أرسينوى عن المعبد الموجود فى قرية ديونيسيا Διονυσια الذى بناه البطالمة خصيصاً من أجل عبـادة ديونيسوس ، ولايزال قائماً حتى الآن . وحـاول الباحث معرفة طرق تأدية الطقوس الدينـية فيه . وننتقل للحديث عن إقليم أوكسيرنخوس ، حيث يخبرنا البردى أن مدينة أوكسيرنخوس كان بها معبد لعبادة ديونيسوس ، ونتتبع أخباره حتى اختفى من البردى . وكان إقليم أوكسيرنخوس بعامة تُمارس فيه العبادة إلى حد أن فرض الرومان ضرائب على معتنقى الديانة . ذلك إلى جانب بعض الإشارات التى تدلنا على وجود معابد تُمارس فيها طقوس عبادة ديونيسوس فى بعض الأقاليم المصرية ، مثل نقراطيس وممفيس وفيله وطيبه .

أ) الإسكندرية :-

هى ملكة المدن فى شرق البحر المتوسط ، فهى الحاضرة الثقافية للعالم الهلينستى والعاصمة الإدارية لمصر فى العصرين البطلمى والرومانى ، وكانت مليئة بكل الجنسيات والديانات والثقافات . ولكن برغم ذلك كله لم نعثر على كثير من الوثائق البردية المعاصرة لتاريـخ الإسكندرية ، حيث تآكلت بفعل الرطوبة . وفيما عدا بعض المخلفات الأثرية ، فإن الآثار قد اختفى أغلبها بفعل استمرار سكنى المدينة لعديد من القرون المتصلة . ولذلك فمن الصعوبة بمكان إعطاء صورة كاملة عن مراكز عبادة ديونيسوس فى المدينة ، وبخاصة أن كتابات المؤرخين المعاصرين انصبت جميعها على الأحداث التاريخية المرتبطة بالمعبود دون النظر للمراكز الدينية ، مكتفين ببعض الإشارات العابرة .

فعلى سبيل المثال اهتم اثينايوس Athenaeus بوصف موكب بطلميوس فيلادلفوس احتفالاً بعيد البطوليمايا ، وأخذ يصف بإسهاب الجزء الخاص بديونيسوس فى الموكب وهو راكباً عربة ذات أربعة عجلات وعلى رأسه التاج الذهبى (٥). ثم عاد ووصف هو وأراتوسثنيس Aratosthines الاحتفالات التى كانت تتم فى القصر الملكى من أجل المعبود ديونيسوس وأطلقا عليها عيد القنينة λαγυνοφορια (٦) . أما بوليبيوس Polybius فتحدث عن اهتمام البطالمة بالمعبود وكيف كانوا يوزعون الهبات والمنح على معتنقى الديانة (٧) . وتفرغ يوسف اليهودى Josephus لشرح الصراع الذى دار بين بطلميوس فيلوباتور واليهود فى ميادين الإسكندرية من أجل ديونيسوس ، وكيف انتهى بمعجزة إلهية ـ على حد قوله ـ لصالح اليهود ، ثم عاد وكرر القصة نفسها فى عهد الملك بطلميوس يورجيتيس الثانى (٨) . وبلوتارخوس Plutarchus الذى تحدث عن اهتمام ماركوس انطونيوس بالديانة وإطلاق لقب ديونيسوس على نفسه (٩).

أما بخصوص مراكز العبادة فى المدينة ، فصمت بعضهم ، وأشار بعضهم عرضاً لوجود معبد أو مسرح فى المدينة . لذلك يحاول الباحث من خلال هذه الإشارات وما ورد فى البردى والنقوش أن يوضح مراكز العبادة داخل الإسكندرية والتى تتمثل فى المعبد والمسرح .

5- Athenaeus: *The Deipnosophists* , with an English translation by Ch . Burton, Loeb Classical Library London, 1927 , 201 , f.
6- Athenaeus : VII , 276 , a-c ; Fraser , P. M. : *Ptolemaic Alexandria* , 3vols. , Oxford , 1972, vol. 1 , p. 204
7- Polybius : *Historius* , with an English translation by W. R. Poton , 6vols. , Loeb Classical Library London 1975 , XV , 30
8- Josephus : *Jewish Antiquities* , with an English translation by Ralph , Loeb Classical Library London , 9vols., 1920-30 , Book III .
9- Plotarchus : *Antony* , with an English translation , London , 1930 , 28 , 71

المعبد

يعزى للملك بطلميوس فيلادلفوس أنه أول من أنشأ معبد لديونيسوس فى الإسكندرية (١٠) وكان يرعى كهنته ويجزل لهم العطاء (١١) . ويحدثنا نقش يونانى ، غير مؤرخ ، يرجع إلى عهد الملك بطلميوس فيلادلفوس ، أن المعبد كان مزيناً بالنقوش وبأسماء مشاهير الفن الديونيسى وأن بيرجنيس بن ليونتيسكوس Περγινες Λεοντεσκος السكندرى عندما عاد مع السفارة المصرية من الخارج ذهب وزار المعبد ونقش اسمه على أحد جدران المعبد ، على اعتبار أنه كان من أشهر فنانى المسرح الديونيسى آنذاك (١٢).

ولانعرف على وجه الدقة موقع هذا المعبد . ويؤكد المؤرخون أن بطلميوس فيلوباتور أطلق اسم ديونيسوس على أكبر وأشهر حى فى الإسكندرية ، وكان يتكون من ربوع صغيرة أُخذت أسماؤها من الأساطير الديونيسية (١٣) . وإذا جاز لنا الربط بين هاتين المعلومتين ، فلا نستبعد أن فيلوباتور أطلق أسم ديونيسوس على الحى الذى يوجد فيه أعداداً كبيرة من معتنقى ديانـة ديونيسوس ، وبالتالى فمن المنطقى أن يوجد المعبد داخل هذا الحى لأنه مكان تجمع مقيمى الطقوس الدينية للمعبود .

وكان فيلوباتور أكثر الملوك البطالمة اهتماماً بديونيسوس ورعاية له ، حتى أطلق عليه المؤرخون لقب Νεος Διονυσος أى ديونيسوس الجديد (١٤) . ويذكر أنه حاول أن يجمع كهنة ديونيسوس من أنحاء مصر إلى الإسكندرية ، ليضعوا كتاباً موحداً يُرصد فيه الطقوس الدينية السرية لعبادة ديونيسوس وتوضع فى المعبد . وفى سبيل ذلك أصدر مرسوماً ملكياً ، غير مؤرخ يطلب فيه من الكهنة الذين يقيمون طقوس عبادة ديونيسوس فى داخل مصر أن يأتوا بطريق النهر إلى الإسكندرية
τους κατα την χωραν τελουντας τωι Διονυσος καταπλειν εις Αλεξανδρειαν ، ويحدد فيه مدة لذلك ، فكهنة نقراطيس أو من هم بالقرب منها ، أمامهم عشرة أيام من تاريخ هذا الإعلان ، أما من هم أبعد من نقراطيس فأمامهم عشرين يوماً ليأتوا إلى الإسكندرية . وعليهم أن يسجلوا أنفسهم لدى اريستوبولوس Αριστοβουλος فى مكتب التسجيلات فى غضون ثلاثة أيام عقب وصولهم . ويعملوا فى الحال على تسليم النسخ التى توارثوها من ثلاثة أجيال مضت ، وأن تكون نسخ مختومة ، وكل واحد عليه أن يكتب أسمه على نسخته (١٥).

10- Tondriau , J . : “ La Dynastic Ptolemaique et la Religion Dionysiaque “ , *Chronique D , Egypte* , vol. 49 , (1950) , p. 289

11-Austin , M.M. : *The Hellenistic World from Alexander to the Roman Conquist* , Cambridge , 1981 No. 217 , p. 358

12-Bevan : *op. Cit.* , pp. 92 , 99

13-Tondriau , J . : “ Les Thiases Dionysiaque Royaux De La Cour Ptolemaique “ , *Chronique D , Egypte* , vol. 41 , (1946) , p. 154

14-*O. G. I. S.*. : *Orientis Graeci Inscriptions Selectai* , 2vols. Ed. By Dittenberger , W. , Lipzig , 1903-1905 , No. 730 ; Strack , M. L. : “ Inschriften aus Ptolemaischer Zeit “ , *Archiv Fur Papyrusforschung* , 2 , (1903) , p. 545

15-B. G. U. : Aegyptische Urkunden aus den Staatlichen Museen Zu Berlin - Griechishe Urkunden , I-IX (1895- 1937) ed. By Wilcken , W. Schubart , E. Kuhn , and Others , No. 1211

ويظهر من هذه الوثيقة أن الملك فيلوباتور حاول أن يضع قواعد ثابتة لعبادة ديونيسوس فى مصر . واستدعاء هؤلاء الكهنة إلى الإسكندرية وتسليمهم كل النسخ الخاصة بطقوس العبادة هى محاولة منه لجمع كل هذه النسخ فى كتاب موحد يضعه فى معبد الإسكندرية ليكون هو المرجع الموحد لكل كهنة ديونيسوس ومعابده فى مصر . ولعل حرصه على أن تكون هذه النسخ من ثلاثة أجيال سابقة ، ليرجع إلى أقدم معرفة لهذه الطقوس وبالتالى لاتحدث أية خلافات فيما بعد فى مراسم العبادة .

ويبدو أن فيلوباتور كان يهدف من ذلك أيضاً أن يُصدر كتاباً مقدساً واحداً لديونيسوس على غرار الكتاب المقدس الذى لدى اليهود ، وبخاصة بعد فشله فى إقناع يهود الإسكندرية بعبادة ديونيسوس وإجبارهم على دخول معبده وما انتهى إليه من صدام أدى إلى تركه إياهم (١٦) وتفرغه لوضع كتاب مقدس لمعبوده .

وعقب ذلك التاريخ ، لم يرد ذكر لمعبد الإسكندرية إلا فى وثيقة بردية ترجع إلى أواخر القرن الخامس أو أوائل القرن السادس الميلادى ، تشير عرضاً إلى حراسة خاصة من أجل لفائف كبيرة بها أسرار ديونيسوس فى المعبد (١٧). وهذا ما يجعلنا نعتقد أن المعبد ظل متواجداً وتمارس فيه الطقوس الدينية طوال العصرين البطلمى والرومانى وحتى أوائل القرن السادس ، ثم اختفى فيما بعد ولم نعثر له على بقايا أثرية . فربما تهدم ولم يتم بناءه بسبب الامتداد السكانى للمدينة من جهة ، وانتشار المسيحية بشكل كبير وتراجع الوثنية من جهة أخرى .

المسرح

يعتبر المسرح من أهم جوانب طقوس عبادة ديونيسوس ، حيث كانت تُمارس عليه الأعمال الفنية الدينية التى تحكى القصص الأسطورية لنشأة المعبود وبطولاته وصراعه مع هيرا والتيتان . ويحدثنا بوليبيوس فى إحدى إشاراته ، أن الإسكندرية كان بها مسرح خاص بديونيسوس أنشأه البطالمة وكان له بهو كبير يستوعب أعداداً كبيرة من المؤديين (١٨) .

وبرغم أن هذه هى الإشارة الوحيدة التى وصلتنا عن مسرح ديونيسوس فى الإسكندرية إلا أنه يعد واحداً من أهم وأشهر المسارح التى أنشأت فى مصر آنذاك ، وظلت تُمارس عليه الأعمال الفنية طوال العصرين البطلمى والرومانى . ودليلنا على ذلك مدى الاهتمام الذى حظى بـه فنانى المسرح لدى البطالمة والرومان . ولذلك أرى لزاماً هنا أن نورد بعض الأمثلة مما كان يحظى به هؤلاء الفنانين من منح وهبات وإعفاءات من الضرائب لنتعرف على أهمية هذا المسرح والعاملين فيه .

حرص البطالمة على إجزال العطاء لهؤلاء الفنانين ، فيذكر أن بطلميوس الثالث طلب من عماله فى الإسكندرية أن يعدوا قوائم بأسماء الفنانين والعاملين فى المسرح الديونيسى لكى يقدم لهم العطايا (١٩). وكان تلبوليموس Τλπολιμος الوصى على بطلميوس الخامس يكثر من

16-Bell , H.E. : *Cults and Creeds in Graeco - Roman Egypt* , London , 1953 , p. 39
17-*P. Theo.* : *Two Theocritus Papyri , Egypt Exploration Socity* , S. Hunt , J. Johnson , London , 1930 , No. 2 , L. 120
18-Polybius : XV , 30 , 1-5
19- O.G.I.S. : No. 51

الهبات والمنح التى يغدقها على الممثلين والمنشدين الديونيسيين [٢٠] . وكذا كل من بطلميوس الثامن [٢١] وبطلميوس الزمار ـ الثانى عشر ـ [٢٢] وكليوباترا وماركوس انطونيوس [٢٣].

أما الأباطرة الرومان ، فسمحوا لهم بإقامة نقابات دينية خاصة بالفنانين الذين يُؤدون الأعمال الفنية لديونيسوس على المسرح أُطلق عليها συνοδος διος διονυσος [٢٤] . وكانت تجوب عواصم العالم لتأدية أعمالهم الفنية . وتأكيداً على اهتمام الأباطرة الرومان بهم أصدروا عدة قرارات ، بداية بالإمبراطور أغسطس ومن تبعه من أباطرة ، أهمها إعفاء الفنانين والمنشدين للطقوس الدينية الديونيسية فى المسرح من الضرائب المقررة للأضحيات العامة والحق فى ألا يُجبروا على إيواء أجانب [٢٥].

وليس من المنطقى إذاً أن فنانين كهؤلاء يحاطون بكل هذا الاهتمام والرعاية ، من الملوك البطالمة والأباطرة الرومان على حد سواء ، لم يكن لهم مسرحاً يليق بهم ويحظى هو الآخر بالاهتمام . ولكن لسوء الحظ أننا لم نعثر على أية آثار تعطينا مؤشراً على مكان المسرح سواء فى مدينة الإسكندرية أو حتى فى الأقاليم ، وبخاصة أن لدينا بعض النقوش اليونانية تشير إلى وجود فنانين ديونيسيين كانوا يعيشون فى اوكسيرنخوس وبطلميوس هرموس [٢٦].

ب) إقليم أرسينوى

عُثر على وثيقة بردية ترجع إلى القرن الثالث قبل الميلاد ، يخبر فيها ابوللونيوس Απολλονιος ، وزير مالية بطلميوس فيلادلفوس ، مساعده زوليوس Ζοιλος ، عامل المالية Οικονομος فى إقليم أرسينوى ، أن الملك فيلادلفوس قد أعفى أربعة فئات من ضريبة الملح وهم ، معلمى القراءة والكتابة اليونانية ، ومدربو الشبيبة اليونان ، والقائمين على الطقوس الدينية لديونيسوس και τους τελουντας τα περι τον Διονυσος، والحائزين على قصب السبق فى المباريات والمسابقات التى تُجرى فى الإسكندرية ، هم وسلالتهم أو من يلوذون بهم [٢٧].

والمهم فى هذه الوثيقة أن الملك فيلادلفوس أعفى مقيمى الطقوس الدينية للمعبود ديونيسوس من ضريبة الملح المفروضة على عامة الناس . والمقصود بهم هنا هم كهنة المعابد وليس المغنيين والفنانين ، فالمصطلح τελουντας الوارد فى الوثيقة يعنى كهنة المعابد كما ورد فى المرسوم الملكى الذى أصدره الملك فيلوباتور ـ الذى سبق ذكره ـ . ولعل الملك فيلادلفوس كان يهدف من ذلك أن يميز فئة الإغريق الذين كانوا يعبدون ديونيسوس . ولانعرف على وجه الدقة هل هذا الإعفاء شمل كل كهنة المعابد فى الأقاليم المصرية بعامة أم اقتصر على إقليم أرسينوى فقط ؟ . يرى بعض الباحثين ، أن المقصود بهذا الأمر الملكى كل الكهنة فى الأقاليم المصرية لأن الملك عندما يصدر أمراً اقتصادياً يبلغ به وزير ماليته وعليه أن ينفذه عن طريق

---

20 - Polybius : XV , 30 , 8-10
21 - *O.G.I.S.* : Nos. 130 , 164
22 - Tondriau : *op. Cit.* , vol. 41 , p. 157
23 - *Ibid.* : pp. 161-2 , 164
24 - *P. Fouad* : *Les Papyrus Fouad,* ed. By P. Jouguet, G. Woddell and Others, Le Caire, 1939 , No. 40
25 - *B.G.U.* : No. 1074
26- *O.G.I.S.* : No. 50 ; Fraser : *op. cit.* , p. 204
27- *P. Halle* : 1 , 260 ; Tondraiu : *op. cit.* , vol. 49 , p. 290

عمال ماليته فى الأقاليم ، وهذه الوثيقة هى جزء من مجموعة الخطابات التى أرسلها ابوللونيوس إلى مساعديه [٢٨].

وبرغم أن هذه هى الإشارة البردية الوحيدة التى تعطينا فكرة عن عبادة ديونيسوس فى إقليم أرسينوى ، إلا أنها تؤكد على أن هذا المعبود كان يوجد فى الإقليم منذ فترة مبكرة من التاريخ البطلمى ، القرن الثالث قبل الميلاد . ويوجد فى الإقليم واحداً من أهم المصادر الأثرية بخصوص مراكز العبادة ، وهو معبد ديونيسوس . والغريب أن هذا المعبد لم يحظ باهتمام الباحثين فى مجال الحضارة اليونانية والرومانية فى مصر ، برغم أهمية المعبد الأثرية والتاريخية .

معبد ديونيسوس

يقع هذا المعبد داخل قرية ديونيسيا ، إحدى قرى إقليم أرسينوى ، تتبع قسم ثيمستيس Θεμιστις ، وتقع على الطرف الجنوبى الغربى من بحيرة قارون ، على بعد ٥٠ كم من مدينة الفيوم . تأسست فى القرن الثالث قبل الميلاد ، فى عهد الملك بطلميوس فيلادلفوس [٢٩]. أُطلق عليها أسم " ديونيسيا " نسبة إلى المعبود ديونيسوس الذى كان يُعبد فيها [٣٠].

أما بخصوص المعبد ، فيطلق عليه الآن معبد " قصر قارون " [٣١]، وهو واحد من المعابد التـى بُنيت فى العصر البطلمى خصيصاً من أجل معبود يونانى . زد على ذلك أنه المعبد الوحيد الباقى حتى الآن من العصر البطلمى ليكون شاهداً على عبادة ديونيسوس فى إقليم أرسينوى ويعطينا فكرة عن طقوس العبادة داخل المعابد .

يتكون المعبد من ثلاثة طوابق بنيت من الحجر الجيرى ، وهو مستطيل الشكل بطول ٣٦.٥ م وعرض ١٩.٥م تقريباً . ويبلغ ارتفاع الواجهة ١١م (شكل ١) ويتوسطها مدخل على قمتـه نحت بارز لحيات الكوبرا المصرية المتوجة بقرص الشمس . ويوجد أمام الواجهة مجموعة من بقايا أعمدة مبنية من الحجر الجيرى ، بعضها أنصاف أعمدة بنيت على جدار ملاصـق للواجهة ، وبعضها الآخر أعمدة كاملة على مسافة بضع أمتار من الواجهة . ويحيط بهـا بقايا جدار من الحجر الجيرى مستطيل الشكل وبطول الواجهة من الخارج ، مما يوحى بأنها بقايا صالة أعمدة مكشوفة تؤدى إلى داخل المعبد ، وهذا على غرار المعابد المصرية التى تبدأ عادة بصالة أعمدة مكشوفة ويبدو أن هذا الجزء بنى فى فترة لاحقة على بناء المعبد ، حيث أن شكل الحجارة المستخدمة وطريقة البناء والجدار الملاصق والمبنى عليه أنصاف الأعمدة ، يوحى بأن هذه الصالة أُضيفت فى العصر الرومانى .

---

٢٨ –زكى على : *علم البردى تراث مصرى أصيل* ، القاهرة ، ١٩٩٨ م. ، ص ص ٤٠٦ - ٤٢٧

29- *cf. P. Teb. : The Tebtunis Papyri* , *Egypt Exploratiom Fund* , London , I , ed. by Grenfell Hunt , Smyly 1902; II, Grenfell , Hunt , Goodspeed , 1907 ; III, 1 , Hunt , Grenfell , Smyly, Lobel , Rostovtzeff,1933, III, 2, Hunt, Smyly , Edgar , 1938 . Nos. 872, L.24 ; 886 , LL. 76, 81; 945, L.8

30- Fraser : *op. cit.* , 1 , p. 203

٣١- لاتوجد صلة بين الأسم " قارون " وقارون الوارد فى القرآن ، بسم الله الرحمن الرحيم " فخسفنا به وبداره الأرض " صدق الله العظيم . ومعنى ذلك أن قصر قارون لم يعد له وجود الآن ، ولعل مرجع التسمية لوقوع المعبد بالقرب من بحيرة قارون .

أما داخل المعبد ، فأول ما يقابل الزائر فى الطابق الأول من المعبد ، صالتين متتاليتين ثم قدس الأقداس . الصالة الأولى مستطيلة الشكل ، فى الجهة الشمالية منها حجرتين متجاورتين لايوجد فيهما أية نقوش أو رسومات ، كما أن طبقة المحارة مفقودة ولم يبق منها سوى مداميك البناء (شكل ٢) . وفى الجهة الجنوبية من الصالة حجرة واحدة بالحالة نفسها التى عليها الحجرتين السابقتين . ثم نتجه بعد ذلك إلى الصالة الثانية ، فنرى حجرة شمالية وأخرى جنوبية لايوجد فيهما أية نقوش أو رسومات. أما الصالة الثالثة والمؤدية إلى قدس الأقداس فنرى على مدخلها زخارف بارزة لحيات الكوبرا المصرية (شكل ٣) . وفى الجهتين الشمالية والجنوبية من الصالة يوجد ممرين ، الشمالى يؤدى إلى ثلاثة حجرات صغيرة متجاورة ليس فيهم أية نقوش ، وفى نهاية الممر سلالم تصل بنا إلى الطوابق العليا . وأيضاً فى الممر الجنوبى ثلاثة حجرات صغيرة تنتهى إلى السلالم المؤدية إلى الطوابق العلوية .

أما قدس الأقداس نفسه ، فبه ثلاثة مقاصير قائمة على مصطبة بارتفاع متر عن أرضية المعبد ، ويوجد أعلاه زخرفة عبارة عن إفريز بشكل حيات الكوبرا المصرية . والمقصورة الوسطى تضم ثلاثة كوات متداخلة ذات أشكال مستطيلة وليست بها أية نقوش والمقصورة اليمنى مستطيلة أيضاً ، ولكنها صغيرة نسبياً عن المقصورة الوسطى . أما المقصورة اليسرى فبها كوة ذات شكل قبى (شكل ٣) ، مما يوحى أن هذه المقاصير الثلاثة كانت تستخدم لعبادة أكثر من معبود .

أما أرضية المعبد ، فنجد بها فتحات عديدة تؤدى إلى سراديب داخلية ، بعضها مليئة بالرديم ولم يستطع أحد أن يدخلها ليتعرف على ما بداخلها من آثار أو غيرها وبعضها الآخر يمكن نزولها بواسطة الحبال أو السلم الخشبى المنقول ، وبخاصة الفتحات التى توجد أسفل قدس الأقداس ، التى يوجد بينها ممر يؤدى إلى مذبح المعبود (شكل ٤) ، وقد نزلها بعض المهتمين بالآثار ولم يعثروا فيها على أية آثار أو نقوش ولا حتى رسومات . ولا نعرف على وجه اليقين كيف كان ينزل إليها المتعبدين ، وهل كان هناك مدخل سرى غير معلوم ولم يتم اكتشافه حتى الآن ؟ ، أم أنهم كانوا ينزلون بواسطة السلالم الخشبية المنقولة . ويؤكد مفتشو آثار المنطقة أنهم عثروا داخل هذه السراديب على تمثال نصفى للمعبود ديونيسوس ، ومحفوظ الآن بمتحف " كوم أوشيم " بمحافظة الفيوم . والتمثال من حجر الجرانيت ، ويبلغ ارتفاعه متر ونصف تقريباً وهو بشكل آدمى للمعبود ديونيسوس .

أما الطابقين الثانى والثالث ، فيوجد بهما حجرات صغيرة وكثيرة ومنتشرة فى المعبد وصلت إلى ٣٦٥ حجرة . وبرغم ذلك لم نجد بها أية نقوش توضح لنا الغرض من إنشاء هذه الحجرات (شكل ٥) وإن كنا نلاحظ أن فى بعضها فتحات للتهوية والإضاءة وبعضها الآخر ليس بها فتحات ، ويستعاض عنها بفجوات فى الجدران لوضع مسارج الإضاءة . ويذكر أن علماء الحملة الفرنسية أثناء زيارتهم لهذا المعبد فى أواخر القرن الثامن عشر الميلادى عثروا داخل إحدى هذه الحجرات على لوحة من الحجر الجيرى ، محفوظة الآن بالمتحف القومى فى باريس [٣٢] ، وبها نحت بارز للمعبود ديونيسوس على هيئة ثعبان ذو رأس آدمى للمعبود نفسه وبجواره ثعبان على شكل أنثوى وبرأس سيدة عليها تاج ايزيس فى العصرين البطلمى والرومانى وربما كانت هى المعبودة ايزيس فى حالة تزاوج مع ديونيسوس ، والمعبودان داخل إطار من النحت البارز يعلوه جملون قائم على عمودين يرتكزين على قاعدة مستطيلة لها إطار خارجى وليس بداخلها أية نقوش (شكل ٦) ، وقد يتفق هذا الطراز الموجود فى النحت مع طرز النحت فى

32- Hurbert Bari:*Wiedergeburt Des Alten Agypten Pharaonen Dammerung*, Strasbourg , 1990 , pp. 58-9

العصر البطلمى وبخاصة الجملون والعمودان اللذان يتشابهان إلى حد بعيد مع الطراز المعمارى الدورى [٣٣].

ثم ننتهى إلى سطح المعبد ، حيث نرى فيه بعض الحجرات الصغيرة أيضاُ وكثيراُ من العناصر المعمارية المتهدمة ولم نجد فيه سوى نقش واحد ، وهو تصويـر نصفى لأحد الملوك أو الأباطرة فى زى فرعونى وهو يقدم القرابين لسوبك ، المعبود المحلى لإقليم أرسينوى.

ويقدم لنا هذا المعبد الفريد تصوراُ واضحاُ لكل صور عبادة ديونيسوس . فالفتحات التى فى أرضية المعبد وتؤدى إلى السراديب الداخلية ، هى الجانب السرى فى عبادة ديونيسوس . فنحن نعلم أن المعبود كانت له طقوس سرية جداً تؤديها طائفة دينية يطلق عليها الأورفية [٣٤] وتجد فـى هذه السراديب المكان المناسب لها لممارسة طقوسهم الخاصة . وكانت لهم مؤلفاتهم الخاصة التى يتداولونها فيما بينهم ـ كما سبق أن رأينا ـ . ولكن لسوء الحظ أن معظم هذه السراديب مليئـة بالرديم ، وتجعل من العسير علينا النزول إليها للتعرف عن كثب على هذه الطقوس وكيف كانت تُمارس ، وهل هناك نقوش على الجدران أم لا ؟ . وإن كنا لا نستبعد أن هذه السراديب كانت تُمارس فيها طقوس ليلية سرية ، كان أبرز مظاهرها تصوير زواج رمزى بين المعبود وتابعاته اللاتى أُطلعن على أسراره ، وذلك بوضع الثعبان المقدس ـ أحد رموز المعبود ـ داخل ملابس أولئك السيدات . وهذا على غرار ما كان يحدث فى معابد ديونيسوس فى بلاد اليونان[٣٥]. ويعضد هذا الرأى التمثال النصفى للمعبود الذى عُثر عليه فى هذه السراديب وغالباُ ما كان يتوجه إليه المتعبدون بطقوسهم ، كذلك اللوحة التى سبق أن أشرنا إليها ، والتى نـرى فيها ديونيسوس إلى جانب ايزيس وكلاهما على هيئة ثعبان ، فربما كانت هى الأخرى شكل من أشكال الزواج الرمزى بين الآلهة ، والترابط بين الديانـة الإغريقية والمصرية . وقد يكون النحت البارز للثعابين المقدسة المصرية ـ ثعبان الكوبرا ـ المنتشرة على أعلى الأبواب والمقاصير هى الأخرى إحدى صور الترابط والتزاوج بين الحضارتين المصرية واليونانية .

أما قدس الأقداس ، فهو الجانب المعلن من عبادة ديونيسوس ، الذى يوضع فيه تمثال المعبود ، ويُقدم على مذبحه القرابين المقدسة . وكانت الخنازير[٣٦]والثيران والماعز[٣٧]أشهر الحيوانات التى تُقدم كقرابين لديونيسوس ، حيث تُعتبر هى الأخرى من رموزه ، ولعل الغرض من تقديم القرابين الحيوانية هى إراقة الدماء لإرضاء المعبود وكأنهم يريقون دماء أعداءه . ويوجد ثلاثة مقاصير فى قدس الأقداس ، إحداهما يوضع فيها تمثال ديونيسوس . ويُعتقد أن المقصورة الوسطى ، التى على هيئة كوات مستطيلة متداخلة ، هى مقصورة ديونيسوس ، فهى تشبه إلى حد بعيد لوحة النحت البارز المحفوظة فى متحف نابلس [٣٨]ولعلها نُقلت فيما بعد إلى متحف نابولى [٣٩]. وتصور المعبود ديونيسوس وهو جالس على عرشه داخل إطار من كوات مستطيلة متداخلة وكأنه جالس داخل معبده . أما المقصورة اليسرى ذات الشكل القبوى ،

٣٣- فوزى مكاوى : *تاريخ العالم الإغريقى وحضارته* ، القاهرة ، ١٩٩٩م. ، ص ص ١٢٤ ـ١٢٥

٣٤- قامت على أسرار ديونيسوس الدعوة الأورفية ، وعبادة الأسرار من العبادات السرية للغاية وغير مسموح لمن لا يتبع هذه الطائفة أن يطلع عليها . وتقوم الأسرار على الأسطورة التى تحكى أن التيتان التهموا زاجريوس ولم يبق منه سوى القلب ، فأخذه زيوس وبعث منه ديونيسوس . فوزى مكاوى : *المرجع السابق* ص ص ١١٨ ١١٩

٣٥- ابراهيم نصحى : *دراسات فى تاريخ مصر فى عصر البطالمة* ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٩ . ص ٦٥

36- Herdotus : *Histtoriae* , Loeb Classical Liberary , Cambridge , 1946-1950 . Nos. 47 , 48

37- Otto : *op. cit.* , pp. 65-6

38- Bevan : *op. cit.* , p. 235

٣٩- سليم حسن : *مصر القديمة* ، ١٨ جزء ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٠ م. ج ١٥ ص ٤٥٣ ، لوحة ١٧

فخصصت لوضع التمساح المقدس رمز المعبود سوبك [٤٠]، المعبود المحلى الإقليم . وهذه الظاهرة انتشرت فى معابد كثيرة فى مصر فى العصرين البطلمى والرومانى ، حيث نجد المعبود المحلى يُعبد إلى جانب المعبود الرئيسى صاحب المعبد . أما المقصورة اليمنى ، فلا نعلم على وجه اليقين الغرض منها ، هل كان يوضع فيها أحد أشكال ديونيسوس ، أم أنها لمعبود مصرى آخر ، ربما كانت المعبودة ايزيس المصرية ، التى صورت إلى جانب ديونيسوس فى النحت البارز الذى سبق ذكره .

ويطرح المعبد علينا عدة تساؤلات ، يحاول الباحث أن يدلو بدلوه فيها دون التأكيد لتبقى قيد الدراسة والمناقشة . لماذا كل هذه الحجرات الصغيرة المتداخلة المنتشرة فى طوابق المعبد الثلاثة ، والتى بلغت ٣٦٥ حجرة ، وليس بها أية نقوش أو صور . هل هذه مرتبطة بطقوس عبادة ديونيسوس ، وعدم وجود نقوش يتماشى مع سرية العبادة فى تلك المنطقة وبخاصة أن معبد الإسكندرية كان مُزيناً بالنقوش والرسومات ، أم أن ما به من نقوش تآكل بفعل الزمن والإهمال ؟ . وهل عدد الحجرات مرتبط بعدد أيام السنة ، ٣٦٥ ، بحيث أن كل حجرة لها يوم واحد وطقس معين ؟ . أم أن الأمر لايتعدى مجرد كثرة فى عدد الحجرات لمبيت مريدى ديونيسوس ، وبخاصة أن معظم طقوس ديونيسوس كانت ليلية مما يستوجب معه وجود مكان للاستراحة والمبيت ؟ . أم أن بعضها استخدم كمخازن للقرابين والطعام وبعضها الآخر كسكن للكهنة ؟ . أسئلة عديدة وفروض كثيرة قد يكون بعضها صحيحاً ، وبعضها الآخر بعيداً عن الصواب .

والناظر للمعبد من الخارج يجد أنه بنى على غرار المعابد المصرية القديمة ، صالة أعمدة مكشوفة ، ثم صالات متعامدة متداخلة تنتهى بقدس الأقداس ، وحتى الزخارف الباقية مصرية ، قرص الشمس وحيات الكوبرا . وهذا يتفق مع سياسة البطالمة والرومان الدينية ، والتى كانت تهدف إلى التقرب إلى المصريين ببناء معابد ذات طراز مصرى ، بل كانوا يصورون أنفسهم بملابس فرعونية وهم يقدمون القرابين للآلهة المصرية [٤١]، ويظهر هذا بوضوح فى النحت البارز الذى عُثر عليه فى الطابق العلوى من المعبد ، حيث نرى أحد الملوك البطالمة أو الأباطرة الرومان ـ لم يبق منه سوى الجزء السفلى ـ وهو فى زى الملك الفرعونى ويقدم القرابين للمعبود .

وظل هذا المعبد يلقى قبولاً وتطوراً فى العصرين البطلمى والرومانى . حتى أنه كان سبباً فى ازدهار قرية ديونيسيا التى يقع بداخلها ، وكثر ذكرها فى البردى فى المعاملات المالية والاقتصادية [٤٢]. وعندما تراجعت أهمية المعبد فى أواخر العصر الرومانى ، وتوارت عبادة ديونيسوس ، تدهورت القرية ولم يعد لها ذكر فى البردى . أما المعبد فقد غطت الرمال والرديم جزءاً كبيراً من أرضيته ، وكادت تصل إلى سقف الطابق الأرضى ، حتى أن المسيحيين وجدوا فيه مكاناً مناسباً لصلاتهم ، وهذا يفسر صورة الصليب التى نراها فى سقف المعبد . وظل الرديم حتى وصول الحملة الفرنسية فى أواخر القرن الثامن عشر الميلادى ، حيث أن علماء الحملة زاروا هذا المعبد وذكروه فى مؤلفهم " وصف مصر " ، وأوردوا لنا صورة له وهو مليئ بالرمال والرديم ، وفقدت كتل حجرية كثيرة من الواجهة [٤٣]. أما الحالة التى عليها الآن تجعلنا نعتقد أنه شهد عمليات ترميم فى العصور الحديثة .

٤٠- انظر مقاصير قدس الأقداس فى معبد كرانيس

٤١ -انظر معبد أدفو

42- *P. Oxy.* : *Oxyrynchus Papyri* , *Egypt Exploration Fund* , Parts I - LXIV (1898 - 1998) ed. by Grengfell , B. P. and Others . No. 3089

43- Hubert Bari : *op. cit.* , p. 59

ج- إقليم اوكسيرنخوس

نستمد معلوماتنا عن مراكز عبادة ديونيسوس فى إقليم اوكسيرنخوس ، من خلال الوثائق البردية ، والتى توافينا بإشارات واضحة على وجود معبد خاص بديونيسوس داخل مدينة اوكسيرنخوس عاصمة الإقليم .

فمن وثيقة بردية ترجع إلى أوائل القرن الأول الميلادى ، مكونة من سبعة وعشرين جزء فيها إشارات إلى أناس يقدمون القرابين للمعبودات الموجودة فى الاقليم ومن بينهم ديونيسوس وبعض البنائين الذين يؤدون بعض الأعمال الخاصة بالبناء فى هذه المعابد[٤٤]. ووثيقة ثانية ترجع إلى عام ٧٥ /٧٦ م ، ورد فيها أن امويتوس بن ليكيوس Αμοιτος υου Λευκιου كان هو الكاهن الصغير لعبادة زيوس وهيرا وأبوللو وكوريس وديونيسوس νεωτερου ιερεως Διος και Ηρας και Απολλωνος και Κορης και Διονυσου [٤٥] . ووثيقة ثالثة ترجع إلى ما بين عامى ٢١٣ / ٢١٧ م. ، وهى قائمة أعدها كهنة المعابد الموجودة فى مدينة اوكسيرنخوس وهم اوريليوس Αυρηλιος وزويلوس بن ابوللونيوس Ζωιλιος του Απολλυνιου واوريليوس بن اخيلوس Αυρηλιος του Αχιλλιου واوريليوس بن تافنيخيوس Αυρηλιος του Τααφυγχιου بخصوص المعابد التى يعملون فيها وأماكنها ومن بينها معبد ديونيسوس الذى يوجد فى حى دروموس ثويريدوس επι μεν του Διονυσου επ αμφοδου Δρομου Θοηριδος ، وكانوا هم ومساعديهم يؤدون طقوس العبادة لهذه المعبودات [٤٦]. وإشارة فى وثيقة رابعة ، ترجع إلى القرن الثالث الميلادى ، إلى أن الأباطرة الرومان كانوا يجزلون العطاء لمرتلى الطقوس الدينية داخل معبد ديونيسوس[٤٧]أما الوثيقة الخامسة ، فترجع إلى عام ٣١٦/٣١٥ م. ، وهى تقرير من اوريليوس سيرابيون Αυρηλλιος Σαραπιον الطبيب الحكومى لمدينة اوكسيرنخوس إلى فاليريوس امموianos Ουαλιριος Αμμοιανος حاكم الاقليم بخصوص الإصابات الشديدة التى وقعت للأهالى داخل معابد العاصمة ، ويقدم قائمة طويلة بأسماء الأهالى الذين أُصيبوا ، والمعابد التى وقعت فيها الإصابات ، ثم يلحق هذا التقرير بآخر يقدمه شيخ البنائين عن حالة هذه المعابد المعمارية ، حيث يذكر أن واجهة معبد ديمتر وحوائط الرواق الجنوبى الخاصة بمعبد ديونيسوس Διονυσειου τοιχος ومذبح معبد آمون والرواق بحالة سيئة للغاية وتشكل خطورة حقيقية على الأهالى ولذلك وجب استدعاء البنائين للقيام بعمليات الترميم وإعادة البناء ، والتى تتطلب كميات كبيرة من الحجارة والألباستر والجبس فضلاً عن الأموال الكثيرة[٤٨].

ويتضح من هذه الوثائق ، أن مدينة اوكسيرنخوس عاصمة الإقليم كان بها معبد خاص بعبادة ديونيسوس ، وبالتحديد فى حى دروموس ثويريدوس ، وتمارس فيه العبادة فى أوائل القرن الأول الميلادى ، مما يوحى أنه كان قد بنى فى فترة سابقة ، ربما من العصر البطلمى ، وظل يستقبل المتعبدين خلال القرون الثلاثة الأولى الميلادية وحتى أوائل القرن الرابع . والغريب أن المعبد لم يكن له كهنة مختصين به ، بل الكهنة المذكورين فى الوثيقتين الثانية والثالثة ، هم أنفسهم كهنة معابد زيوس وأبوللو وهيرا وغيرهم من المعبودات الأغريقية ، مما يجعلنا نعتقد أن

44- *P. Oxy.* : No. 3406 , Fr. I , col. I

45-*P. Yale* : *Yale Papyri in the Beinecke Rare Book and Manuscript Library* , ed. by J. Oates , A. Samuel and C. Welles , 2vols. , U. S. A. , 1967 , vol. I , No. 64 , LL. 12-14

46 - *P. Oxy.* : No. 1449 , LL. 1-4

47- *P. Oxy.* : No. 2610 , LL. 3-4

48- *P. Oxy.* : No.4441 , Col. VI

المعابد التى بنيت فى مدينة اوكسيرنخوس من أجل معبودات أغريقية ، كانت لهم مجموعة من الكهنة هى المشرفة على تأدية الطقوس الدينية فيها ، وحتى الكهنة صغار السن أيضاً تسند إليهم مهمة الأشراف على الطقوس الدينية فى أكثر من معبد . ولعل هذا يتماشى ما سياسة الرومان الدينية ، حيث كانت تُخضع النظام الكهنوتى فى مصر لمعايير اقتصادية بحتة ، وكانت تعرض هذه المناصب فى المزاد العلنى ويشتريها من يدفع أكثر [٤٩] فربما هؤلاء الكهنة كمجموعة هم الذين استطاعوا شراء هذه الوظائف .

ويبدو أن حالة المعبد المعمارية تدهورت فى القرن الرابع الميلادى ، وتعرض المتعبدون للإصابات ، مما حدا بالإدارة الرومانية بالإسراع فى طلب تقرير للوقوف على حالة المعابد المصابة والتعرف على تكاليف الترميم . والمعلوم أن هذا المعبد غير موجود حالياً ، ولم يُعثر له على بقايا أثرية تجعلنا نتعرف على شكله ، ومعرفة إن كان قد بنى على طراز معبد ديونيسوس فى إقليم أرسينوى أم أنه يختلف عنه . أضف إلى ذلك أنه لم يعد يذكر فى البردى عقب ذلك التاريخ هذا ما يجعلنا نعتقد أن المعبد تهدم فى فترة لاحقة . أو أنه لم يتم ترميمه حسب التقرير المقدم من المختصين ، وبخاصة أن تاريخ التقرير يرجع إلى القرن الرابع الميلادى ، وهى الفترة التى كانت تعانى فيها الإمبراطورية الرومانية بعامة ومصر بخاصة من تدهور اقتصادى ، يجعل من الصعب تنفيذ مشروعات الترميم فى الإقليم ، والتى شملت أكثر من معبد ـ آمون وديمتر وديونيسوس ـ وتتطلب مواد ترميمية كثيرة ، الأحجار والألباستر والجبس ، إلى جانب الأموال الكثيرة . هذا فقط فى مدينة أوكسيرنخوس فما بالك بباقى الأقاليم المصرية التى يوجد بها معابد تحتاج هى الأخرى إلى ترميم وإلا لبقيت حتى الآن . كل ذلك فى وقت كان جل الاقتصاد الرومانى فى مصر موجهاً لتحصيل الأموال وليس الإنفاق .

أما بخصوص العبادة ، فلدينا ثلاثة وثائق بردية تحدثنا عن ضريبة على معتنقى ديانة ديونيسوس فى الإقليم ، يطلق عليها ضريبة " قربان الخمر " σποιδης Διονυσου وهى نقدية وعينية .

تشير الأولى ، ترجع إلى ما بين عامى ١٥٣/١٥٦ م. ، إلى أن ضريبة قربان الخمر كانت تُحصل من القرى التابعة لإقليم أوكسيرنخوس ضمن الضرائب العامة للدولة [٥٠]. والثانية، ترجع إلى القرن الثانى الميلادى ، قدم فيها ابيونوس Απιωνος تقريراً فى دفتر اليومية عن الضرائب التى جمعها من مقاطعة تالاو Ταλαω فى مدينة أوكسيرنخوس ، ومنها ضريبة "قربان الخمر" الخاصة بالمعبود ديونيسوس ومقدارها ثمانية دراخمات وأربعة أوبولات وواحد خالكيس ـ مكيال للسوائل - σπονδης Διονυσου δραχμαι η τετρωβολον χαλκους α [٥١] . والتقرير الثالث ، يرجع إلى أوائل القرن الثالث الميلادى ، قدمه اوريليوس Αυρηλιος إلى حاكم الإقليم بخصوص جمع الضرائب من مواطنى وسط التوبارخية ، وبالتحديد من مقاطعة بينو Πεεννω ومنها ضريبة " قربان الخمر " . وكانت تُحصل بدفعات شهرية ، حيث تم دفع مبلغ ثمانية دراخمات وأربعة أوبولات وواحد خالكيس σπονδης Διονυσου δραχμαι η τετρωβολον χαλκους α عن شهر بؤونة من العام

49- Lewis , N. : *Life in Egypt under the Roman Rule* , Oxford , 1983 , pp. 93-4
50- *P. Oxy.* : No. 1436 , L. 17
51- *P. Oxy.* : No. 917 , L. 3

الثانى من حكم الإمبراطور ماركوس أوريليوس انطونينوس Αυρηλιου Αντωνινου Μαρκος (٥٢) .

ويبدو أن عبادة ديونيسوس كانت تلقى قبولاً لدى سكان إقليم اوكسيرنخوس خلال تلك الحقبة التاريخية ، مما حدا بالإدارة الرومانية إلى فرض ضريبة على هؤلاء المتعبدين فى قرى ومدن الإقليم . وليس المقصود من تسمية قربان الخمر أنها كانت تُحصل من أجل تقديم القربان لديونيسوس ، وإنما كانت تُفرض على معتنقى الديانة بعامة ، باعتبار أن عبدة ديونيسوس هم الذين يقدمون الخمر كقربان لمعبودهم .

ونجد فى إقليم أوكسيرنخوس فئة سكانية أخرى تعتنق ديانة ديونيسوس ، وتعفى من هذه الضريبة ، وهم فنانى المسرح الديونيسى ـ كما سبق ذكره ـ والأكثر من ذلك ، أن منهم من وصل إلى أعلى الدرجات الدينية على مستوى العالم القديم . فنجد فى إحدى الوثائق البردية التى ترجع إلى عام ٢٦٤ م. ، رجلاً يدعى ماركوس اوريليوس سيرنيوس Μαρκος Αυρηλιου Σηρηνιου من سكان إقليم أوكسيرنخوس ، كان عضواً فى جمعية الفنانين العالمية المكرسة لديونيسوس ، وتم تعينه الكاهن الأكبر للجمعية ، وصرح له بالسفر حول العالم ، واصبح الكاهن الأكبر للدورة رقم ١٣٥ فى الألعاب الديونيسية المقدسة العالمية بعد أن دفع الرسوم المقررة بالقانون الإمبراطورى وهى ٢٥٠ دراخمة أتيكية (٥٣) .

ومعنى ذلك أن هناك تجمعات سكانية تعيش فى إقليم أوكسيرنخوس ، تعتنق ديانة ديونيسوس ، منهم العامة الذين يدفعون الضرائب مقابل ذلك ، ومنهم الصفوة الذين يعفون من الضرائب ويتقلدون أعلى المناصب الدينية .

د- مراكز العبادة فى بعض الأقاليم الأخرى

لدينا بعض الإشارات فى الوثائق البردية والنقوش تُفيد أن المعبود ديونيسوس كان يوجد فى بعض الأقاليم الأخرى فى مصر ، وإن كان بعضها لم يزد عن مجرد صورة أو اسم للمعبود على جدران المعابد ، لم تعطينا صورة كاملة عن دور ديونيسوس فيها . ولكن الضرورة تقتضى أن نورد هذه الإشارات كدليل على انتشار عبادة ديونيسوس فى مناطق عديدة داخل مصر .

نقراطيس

هى أحد أقدم التجمعات الإغريقية فى مصر ، عندما استقدمهم بسماتيك وأسكنهم فيها . ويذكر هيردوت ، أن ديونيسوس كان من أهم المعبودات الأجنبية التى عُبدت فى مصر وبخاصة فى نقراطيس التى عُبد فيها منذ زمن بعيد (٥٤) . وإن كنا لا نستطيع أن نعتمد كلية على ما ذكره هيردوت بخصوص عبادة ديونيسوس فى مصر ، لأنه كثيراً ما كان يخلط بينه وبين أوزوريس المصرى ، وإن كنا لانصدق أن يترك المصريين معبودهم أوزوريس ليعبدوا بديله الأجنبى ، فمن المنطقى أن يعبده الإغريق الذين كانوا يعيشون فى نقراطيس آنذاك على اعتبار أنه معبود يونانى ، وبخاصة أنهم كانوا فى عزلة عن المجتمع المصرى فى ذلك العصر.

52- *P. Oxy.* : No. 1283 , L. 17
53-B. G. U. : No. 1074 ; Lewis : *op. cit.* , pp. 148-9
54- Herdotus : II , Nos. 49 , 154

أما فى العصر البطلمى ، فلدينا المرسوم الملكى الذى أصدره بطلميوس فيلوباتور - الذى سبق ذكره - طلب فيه من كهنة نقراطيس أن يذهبوا إلى الاسكندرية ليساهموا فى إعداد الكتاب المقدس الذى يحوى الأسرار الخاصة بالمعبود[٥٥] . وطالما يوجد كهنة فمن الضرورى وجود معبد يؤدى فيه الكهنة طقوسهم الدينية . أضف إلى ذلك ما ورد فى المرسوم الملكى بضرورة أن تكون هذه الأسرار موروثة من ثلاثة أجيال سابقة . معنى ذلك أن نقراطيس كان بها كهنة لديونيسوس منذ فترة سابقة على ذلك ، على الأقل من عهد بطلميوس فيلادلفوس - لو اعتبارنا الجيل عشرين عام

ممفيس

وصف لنا فريزر Fraser منظراً منقوشاً على أحد جدران سيرابيوم ممفيس ، يرجع إلى النصف الأول من القرن الثالث قبل الميلاد ، فيذكر أنه فى نهاية الجدار الغربى المتصل بمعبد قنتنبو بالحرم الرئيسى للمعبود أبيس ، فى الجزء السفلى للحائط ، يوجد مجموعة من نقوش على الحجر الجيرى تصور الحيوانات الديونيسية ، النمر والأسد والطاووس وعرائس البحر ، أما ديونيسوس نفسه فصور على هيئة طفل يركب النمر والطاووس ، ويرتدى ثوبه التقليدى والذى يتشابه إلى حد بعيد مه الذى كان يرتديه فى فريجيا [٥٦] . ويبدو من التصوير أن ديونيسوس كان يوجد فى الإقليم فى فترة مبكرة من التاريخ البطلمى .

فيلة

عُثر على نقشين من العصر البطلمى ، وبخاصة فى عهد الملك بطلميوس الزمار ، يشيران إلى احتمال عبادة ديونيسوس داخل معبد فيلة ، وبالتحديد فى معبد ايزيس ، الأول ورد فيه أسم ديونيسوس على أحد جدران المعبد [٥٧] . والثانى من عام ٦٢ ق.م. ، ورد فيه أسم كاليماخوس Καλιμαχος الذى كان يقدم القرابين لديونيسوس فى الجزء الخاص بقنتنبو فى معبد ايزيس[٥٨] .

طيبة

وإشارة أخرى فى نقش يونانى ، يرجع إلى العصر البطلمى ، تفيد أن بريابوس وديونيسوس كانا فى هذا الإقليم [٥٩].

ونخلص من هذه الدراسة إلى أن ديانة ديونيسوس كانت تلقى قبولاً فى مصر فى العصرين البطلمى والرومانى ، ليس فقط فى مدينة الإسكندرية مركز الحكم ، بل أيضاً فى بعض الأقاليم الأخرى ، والدليل على ذلك معابد ديونيسوس المنتشرة داخل الأقاليم ، فى أرسينوى واوكسيرنخوس وغيرهما.

والملفت للنظر ، أن المناطق التى يوجد بها مراكز لعبادة ديونيسوس ، تشهد تجمعات سكانية إغريقية ، وهذا ما يجعلنا نعتقد أن ممارسة طقوس العبادة اقتصرت على الإغريق ، على اعتبار أن ديونيسوس معبود إغريقى الأصل والديانة . أضف إلى ذلك ، سياسة التسامح الدينى

55- *B.G.U. :* No. 1211, LL. 3-4

56- Fraser : *op. cit.* , I , p. 206

57- *S. B.* : *Sammelbuch Grichischer Urkunden aus Aegypten* , ed. by Preisigke , F. Bilabel , Strasbourg , 1913-15 , No. 4084 , LL. 5-6

58- *O.G.I.S.* : No. 186

59- *O.G.I.S.* : No. 130

التى انتهجتها الحكومة البطلمية وتبعتها الرومانية . واصبح من حق كل جنسية تعيش فى مصر أن تعبد ما تشاء من آلهة . فلماذا إذاً يعبدون إله أجنبياً ولديهم شبيهه المحلى .



شكل ١

معبد قصر قارون

(تصوير الباحث)



شكل ٢

جانب من الحجرات الجانبية في الدور الارضي



شكل ٣

قدس الاقداس

(تصوير الباحث)



شكل ٤

ارضية المعبد

(تصوير الباحث)



شكل ٥
جانب من حجرات الأدوار العليا
(تصوير الباحث)

قائمة المصادر والمراجع

أ - الوثائق البردية والنقوش

1 - *B. G. U. : Aegyptische Urkunden aus den Staatlichen Museen Zu Berlin - Griechishe Urkunden* , I-IX (1895- 1937) ed. By Wilcken , W. Schubart , E. Kuhn , and Others

2 - *O. G. I. S..* : *Orientis Graeci Inscriptions Selectai* , 2vols. Ed. By Dittenberger , W. , Lipzig , 1903-1905 *G. I. S..* : *Orientis Graeci Inscriptions Selectai* , 2vols. Ed. By Dittenberger , W. , Lipzig , 1903-1905

3 - *P. Fouad* : *Les Papyrus Fouad* , ed. By P. Jouguet , G. Woddell and Others , Le Caire , 1939

4 -*P. Oxy.* : *Oxyrynchus Papyri , Egypt Exploration Fund* , Parts I - LXIV (1898 - 1998) ed. by Grengfell , B. P. and Others

5 - *P. Teb. : The Tebtunis Papyri , Egypt Exploratiom Fund* , London , I , ed. by Grenfell Hunt , Smyly 1902 ; II , Grenfell , Hunt , Goodspeed , 1907 ; III, 1 , Hunt , Grenfell , Smyly , Lobel , Rostovtzeff , 1933, III , 2 , Hunt , Smyly , Edgar , 1938 .

6 - *P. Theo.* : *Two Theocritus Papyri , Egypt Exploration Socity* , S. Hunt , J. Johnson , London , 1930

7 - P. Yale : *Yale Papyri in the Beinecke Rare Book and Manuscript Library* , ed. by J. Oates , A. Samuel and C. Welles , 2vols. , U. S. A. , 1967

8 - *S. B.* : *Sammelbuch Grichischer Urkunden aus Aegypten* , ed. by Preisigke , F. Bilabel , Strasbourg , 1913-15

ب - المصادر الأدبية

1 - Athenaeus: *The Deipnosophists* , with an English translation by Ch . Burton, Loeb Classical Library London, 1927

2 - Herdotus : *Histtoriae* , Loeb Classical Liberary , Cambridge , 1946-1950 .

3 - Josephus : *Jewish Antiquities* , with an English translation by Ralph , Loeb Classical Library London , 9vols., 1920-30

4 - Plotarchus : *Antony* , with an English translation , London , 1930

5 - Polybius : *Historius* , with an English translation by W. R. Poton , 6vols. , Loeb Classical Library London 1975

ج - المراجع العربية

١ - ابراهيم نصحى : *دراسات فى تاريخ مصر فى عصر البطالمة* ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٩ .
٢ - زكى على : *علم البردى تراث مصرى أصيل* ، القاهرة ، ١٩٩٨ م.
٣ - سليم حسن : *مصر القديمة* ، ١٨ جزء ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ٢٠٠٠ م.
٤ - صمويل نوح كريمر : *أساطير العالم القديم* ، ترجمة أحمد عبد الحميد يوسف ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٣ م.
٥ - فوزى مكاوى : *تاريخ العالم الإغريقى وحضارته* ، القاهرة ، ١٩٩٩م.

د - مراجع بلغات أجنبية

1 - Austin , M.M. : *The Hellenistic World from Alexander to the Roman Conquist* , Cambridge , 1981
2 - Bell , H.E. : *Cults and Creeds in Graeco - Roman Egypt* , London , 1953
3 - Bevan , E. : *A History of Egypt under the Roman Dynasty* , London , 1927
4 - Festugiere , D. P. : " Les Mysteres De Dionysos " , *in Revue Biblique* , XLIV , 1935
5 - Fraser , P. M. : *Ptolemaic Alexandria* , 3vols. , Oxford , 1972
6 - Hurbert Bari : *Wiedergeburt Des Alten Agypten Pharaonen Dammerung* , Strasbourg , 1990
7 - Lewis , N. : *Life in Egypt under the Roman Rule* , Oxford , 1983
8 - Otto , W. F. : *Dionysos , Myth and Cult* , Translated by R. B. Palmer , London , 1965
9 - Strack , M. L. : " Inschriften aus Ptolemaischer Zeit " , *Archiv Fur Papyrusforschung* 2 , (1903)
10 - Tondriau , J . : " Les Thiases Dionysiaque Royaux De La Cour Ptolemaique " , *Chronique D , Egypte* , vol. 41 , (1946)
11 - Tondriau , J . : " Rois Lagides compares ou identifies a des divinites " , *Chronique D Egypte* , vol. 41 , (1946)
12 - Tondriau , J . : " La Dynastic Ptolemaique et la Religion Dionysiaque " , *Chronique D , Egypte* , vol. 49 , (1950)